أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

رد عار ٤ فبراير بمثل ما رددت عار وشواى

للأستاذ سيد قطب

« إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة . فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » .

« لورد كيلرن ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ »

هذه المجلة ليست مجلة حزب من الأحزاب ، إنما هي مجلة المثقفين من المصريين خاصة ومن العرب عامة ؛ فهي بهذا ترتفع على الأحزاب ، وتتوجه بجهودها إلى معنى أخلد وأسمى

وهذا القلم ليس لحزب من الأحزاب ، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاماً بعد ما خلا الميدان من كل جبار ؛ فهو بهذا يتوجه إلى وجه مصر الخالد وهي أخلد وأسمى .

لقد أميط اللثام منذ أسبوعين عن أشنع مأساة لقيتها مصر في تاريخها القديم والحديث ، المأساة التي داست كرامة كل فرد ، ومست شرف كل مواطن ، وأذلت كبرياء كل كريم ، ومرغت في الوحل تاريخ المصريين ...

المأساة التي كشفت الستار عن الضمير البريطاني ؛ فإذا هو ضمير لا يصح الارتكان إليه ، ولا تجوز الثقة به ، ولا يؤمن التعاقد معه ، لأن الأقوياء يستطيعون في لحظة واحدة أن ينقضوا كل ما أبرموا ، وذلك الضمير هادئ مستريح ! !

ولا أحب أن أسترسل في التنديد بهذه المأساة ، فسرد حوادثها وحده يكفي ، وهو أشنع وأدهى من كل تعليق

وها هو ذا نقلا عن « أخبار اليوم » :

« في يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اعتدى الإنجليز على استقلال مصر أشنع اعتداء ، فأحاطت الدبابات الإنجليزية بقصر عابدين وصوبت إليه مدافعها ، وحوصر قصر الملك فاروق بألوف الجنود البريطانيين وهم في ملابس الميدان ... وتقدمت دبابة انجليزية فحطمت الباب الملكي ودخلت حرم القصر ... ودخلت وراءها سيارة تحمل اللورد كيلرن السفير البريطاني ، والجنرال ستون قائد القوات البريطانية في مصر

« حدث كل هذا في الساعة التاسعة مساء في الظلام الدامس لأن الجرائم عادة لا ترتكب إلا في الظلام .

« ووقفت سيارة السفير البريطاني أمام الباب الملكي ونزل منها السفير وقائد القوات البريطانية يتقدمهما ثمانية ضباط يحملون المسدسات في أيديهم

« وتقدم رجل الشريفات يسألهم : إلى أين هم ذاهبون ؟ ... فدفعه السفير البريطاني بيده وقال له :

« — أنا أعرف طريقي !

متمثلين بما قال الصاحب للقاضي الجرجاني صاحب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

وأقول في ختام هذا الحديث المختصر :

لو لم يكن — يا شيوخ ابن خلدون — أحد الأول وأمجد الثاني اللذان « ليسا من الشعر في شيء » كما لقنتم قولكم لخسر الأدب العربي أبا خسران . وإذا استغنى الإنكليز عن شكسبيرهم — وكارليل يقول « لا غنى لنا عن شكسبير[1] » — واستغنى الجرمان عن غوته ، وغوته[2] — كما رووا — نبيهم في الأدب ،

(١) الأبطال تأليف الفيلسوف الأكبر توماس كارليل عربه الكاتب الكبير محمد السباعي .

= (٢) في مقالي (شاعر الجرمان الأعظم) في : (الرسالة الغراء) ٤٣١ بينت مكانته وأوردت شيئا من أخباره . وقد روى الراوون أنه قرزم وهو ابن ست سنين « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » واسم الرجل في الفرنجي جون أو جان أي يحيى

« وفى هذا الوقت هجم الجنود البريطانيون على حراس قصر عابدين فجردوهم من السلاح ، وحاصروا القشلاق الملكى ، وأراد أحد الحراس أن يقاوم القوة بالقوة ، فتكاثر حوله الجنود الإنجليز وأصيب بكسر فى يده أثناء المقاومة

« وفى هذا الوقت نفسه كان الجنود الإنجليز قد حاصروا جميع ثكنات الجيش المصرى ، وصوبوا إليها المدافع ، واستعدت الطائرات البريطانية لنسف جميع ثكنات الجيش المصرى إذا هو قاوم !

« وحاصر الجنود الإنجليز كذلك مراكز البوليس ... وقطعوا جميع الأسلاك التليفونية الموصلة إلى القصر الملكى ! ! وحاصروا أيضاً محطة الإذاعة !

« كل هذا لكى لا يعرف الشعب ماذا يجرى فى قصر ملكه ! »

هذا هو الوصف المادى المحسوس للمأساة . يفور له الدم فى العروق ، وتهتاج له الأعصاب فى الأجسام ، ويبيض له كل قلب بالنقمة والغضب والحماس ...

فكيف تلقته الصحافة الحزبية فى مصر الممثلة للأحزاب المصرية فى عصر الأقزام ؟ راحت الصحف الوزارية تتهم النحاس باشا بالخيانة الوطنية ، دون أن تمس السادة الإنجليز إلا فى حذر ومن وراء ستار !

وراحت الصحف النحاسية تتهم الوزاريين بالتلفيق والتزوير ، وتتنحل للسادة الإنجليز كل عذر فى موقفهم هذا الغشوم . فهم قوم فى حرب حياة أو موت ، وهم يريدون الاطمئنان إلى أنهم لن يطعنوا فى ظهورهم ، وهم قوم محرجون ، معذورون فيما صنعوا ، مبرأون فيما يصنعون !

وا سوأتاه !

أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

أين أنت لتعلم هؤلاء وهؤلاء كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ؛ كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟ !

* * *

لقد يكون مفهوماً بعض الشىء أن تقف الصحف النحاسية هذا الموقف من الحلفاء الذين أرسلوا للملك بهذا الإنذار ... أما غير المفهوم ، فهو موقف الصحافة الوزارية على العموم !

إنهم يحرصون فيما يقال على صفاء الجو بيننا وبين السادة الانجليز ونحن على أبواب المفاوضات أو المحادثات !

أية مفاوضات وأية محادثات ، مادام هؤلاء السادة يملكون فى كل يوم وفى كل وقت أن يرسل « سفيرهم » — لا ممثلهم ولا مندوبهم السامى — بإنذار إلى « الملك » يقول فيه : « إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن هيّان ابن بيّان قد دعى لتأليف وزارة فإن الملك يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » ثم يحضر بعد ساعات بدباباته فيحطم باب الملك كما حطمه فى يوم ٤ فبراير لتنفيذ هذا الانذار . ثم يجد من « هيّان ابن بيّان » كل قبول ؟ !

وبعد هذا كله ، وبعد أن تنشر أخبار المأساة يبقى السفير البريطانى سفيراً فى بلاط هذا الملك الذى حطم باب قصره بالدبابات ؟ !

إن المعتمد الانجليزى لم يبق بعد حادثة دنشواى فى مصر ، وهى أهون ألف مرة من حادث ٤ فبراير . وهذا هو الفرق الحاسم بين الأمس واليوم . والمعتمد الانجليزى إذ ذاك هو لورد كرومر أحد بناة الامبراطورية كما يصفه تاريخ الاستعمار الغشوم .

وا سوأتاه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟

أين أنت لتعلّم زعماء اليوم كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ، كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟

لقد كان مصطفى كامل طليق اليد واللسان لأن أبهة الحكم لم تكن تداعب خياله ، ولأن ألجة الحكم لم تكن تلجم بيانه . ولأنه لم يكن يؤمن بضمير أحد ولا يثق إلا بمصر الخالدة على الأزمان .

أما اليوم فنحن نثق بالضمير البريطانى فنعاهده ، ونؤمن بالشرف البريطانى فنركن إليه !

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ...

إن مأساة ٤ فبراير هى مأساة الضمير البريطانى . ومأساة الثقة العمياء بهذا الضمير .

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ... إن مأساة ٤ فبراير يجب أن تنقش بحروف من نار لتبقى فى قلوب الأبناء والأحفاد تذكرهم بمأساة الضمير البريطانى ، ومأساة الثقة العمياء فى هذا الضمير .

وهذا ما يجب أن تكتبه الصحف عامة ولو أغضبت جميع الأحزاب فى عصر الأقزام !!!

سيد قطب